علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجا باصحابه
فحلفوا بالله ما شتموه فانزل الله تعالى هذه الاية فقال عز وجل
ويحلفون على الكذب وهم يعلمون انهم كذبة • قال ابن الخطيب
والمراد من هذا الكذب اما ادعاؤهم كونهم مسلمين واما انهم
كانوا يسبون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدون
المسلمين فاذا قيل انكم فعلتم ذلك خافوا على انفسهم من القتل
فيحلفون انهم ما قالوا ذلك وما فعلوه فهذا هو الكذب الذي
يحلفون عليه وهذه الاية تدل على فساد قول الجاحظ ان الكذب
هو الخبر المخالف لاعتقاد المخبر قوله ما هم منكم ولا منهم يجوز
في هذه ثلاثة اوجه • احدها انها مستانفة لا موضع لها من الاعراب
اخبر عنهم بانهم ليسوا من المومنين الخلص بل كقوله تعالى مذبذبين
بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء فالضمير في ماهم عايد على الذين
تولوا وهم المنافقون وفي منهم عايد على اليهود اي الكافرين الخلص
والثاني انها حال من فاعل تولوا والمعنى على ما تقدم ايضا والثالث
انها صفة ثانية لقوما فعلى هذا يكون الضمير في ماهم عايدا على قوما
وهم اليهود والضمير في عنهم عايد على الذين تولوا يعني اليهود ليسوا
منكم ايها المومنون ولا من المنافقين ومع ذلك تولاهم المنافقون
قاله ابن عطية الا ان فيه تنافر الضماير فان الضمير في ويحلفون
عايد على الذين تولوا • فعلى الوجهين الاولين تتحد الضماير لعودها
على الذين تولوا وعلى الثالث تختلف كما عرفت • وقوله وهم يعلمون
جملة حالية اي يعلمون انه كذب فيمينهم يمين غموس لا عذر لهم
فيها قوله اعد الله لهم عذابا شديدا [illegible]
عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الاسفل من النار وقيل العذاب
الاسفل من النار وقيل عذاب القبر قال ابن الخطيب اذا حملنا هذا على
عذاب القبر وحملنا قوله جل ذكره فلهم عذاب مهين على عذاب الاخرة
لا يلزم منه تكرار انهم ساء ما كانوا يعملون اي لبيست الاعمال اعمالهم
قوله اتخذوا ايمانهم جنة قرا العامة بفتح الهمزة جمع يمين والحسن
وابو العالية بكسرها مصدرا وهنا وفي المنافقين اي اقرارهم اتخذوه
جنة يستجنون بها من القتل قال ابن جني هذا على حذف مضاف
اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة من ظهور نفاقهم • وقوله تعالى ايمانهم
جنة مفعولان لاتخذوا قوله فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل
وفي الاخرة بالنار وقيل المراد من الكل عذاب الاخرة كقوله عز وجل
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
فصدوا عن سبيل الله المنع عن الاسلام وقيل القاء الاراجيف وتثبيط
المسلمين عن الجهاد قوله لن تغني عنهم تقدم الكلام عليه في ال
عمران قال مقاتل ان المنافقين قالوا ان محمدا يزعم انه ينصر يوم القيمة لقد
شقينا اذن فوالله لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا
ان كانت قيامة فنزلت الاية قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا
اي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم الله فيحلفون له كما يحلفون
اليوم قال ابن عباس يحلفون لله تعالى يوم القيمة كذبا كما حلفوا لاوليائه
في الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون انهم على شيء باي
وحلفهم قال ابن زيد ظنوا انهم ينفعهم في الاخرة وقيل يحسبون
في الدنيا انهم على شيء لانهم في الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاول

والمعنى

• والمعنى انهم لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيمة انهم يمكنهم ترويج
كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب • واليه الاشارة بقوله تعالى ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه • قال القاضي والجبائي ان اهل الاخرة لا يكذبون
فالمراد من الاية انهم يحلفون في الاخرة انا ما كنا كافرين عند انفسنا وعلى
هذا الوجه لا يكون الحلف كذبا • وقوله تعالى الا انهم هم الكاذبون يعني
في الدنيا • قال ابن الخطيب وتفسير هذه الاية على هذا الوجه يقتضي ال
ركاكة عظيمة في النظم وقد استقصينا هذه المسالة في سورة الانعام
عند قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين • وروي ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيمة
اين خصماء الله تعالى فيقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم
مايل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا
ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها • قال ابن عباس صدقوا
والله اتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون انهم على شيء
الا انهم هم الكاذبون والله القدرية ثلاثا قوله استحوذ جاء به
على الاصل وهو فصيح استعمالا وكذ شذ قياسا وقد اخرجه عمر رضي الله
عنه على القياس فقرا استحاذ كما سبقنا وتقدمت هذه المادة في النسا
في قوله الم نستحوذ • قال الزجاج استحوذ في اللغة استولى يقال
حاذ الابل اذا استوليت عليها وجمعتها • وقال المبرد استحوذ على
الشي حواه واحاط به قيل المعنى غلب عليهم الشيطان بوسوسته
في الدنيا وقيل قوي عليهم فانساهم ذكر الله اي اوامره في
العمل بطاعته • وقيل زواجره في النهي عن معصيته والنسيان
قد يكون بمعنى الغفلة ويكون بمعنى الترك والوجهان محتملان ههنا
اوليك حزب الشيطان طايفته ورهطه الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون في بيعهم لانهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة
فصل احتج القاضي بهذه الاية في خلق الاعمال من وجهين • الاول
ان ذلك النسيان لو حصل بخلق الله تعالى لكانت اضافته الى الشيطان
كذبا • الثاني لو حصل ذلك بخلق الله لكانوا كالمومنين في كونهم حزب
الله لا حزب الشيطان قوله ان الذين يحادون الله ورسوله
تقدم اول السورة اوليك في الاذلين اي من جملة الاذلاء لا اذل
منهم لان ذل احد الخصمين يدل على عز الخصم الثاني فلما كانت عزة الله
تعالى غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية ايضا قوله
كتب الله لاغلبن يجوز ان يكون كتب جرى مجرى القسم فاجيب بما
يجاب به • وقال ابو البقا وقيل هو جواب كتب لانه بمعنى قال
وهذا ليس بشي لان قال لا يقتضي جوابا فصوابه ما تقدم • ويجوز
ان يكون لاغلبن جواب قسم مقدر وليس بظاهر فصل قال
المفسرون كتب الله اي قضى الله ذلك • وقيل كتب في اللوح المحفوظ
قاله قتادة • وقال الفرا كتب بمعنى قال • وقوله انا توكيد ورسلي
من بعث منهم بالحرب فان الرسول بالحرب غالب ومن بعث منهم بالحجة
غالب ايضا فاذا انضم الى الحجة الغلبة بالحرب كان اغلب
واقوى • قال مقاتل قال المومنون لين فتح الله لنا مكة والطايف
وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال
عبد الله بن ابي سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها

King Saud University
Copyright © King Saud University